خطبة صلاة الجمعة 10/ 1/ 2020 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(أسباب سعة الرزق)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (20) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21) وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (22) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ [الذاريات:22].

وقال ربنا: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:215].

أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**بَيْنا رجل في فلاة من الأرض، فسمع صوتاً في سَحَابة: اسْقِ حديقةَ فلان، فتنحَّى ذلك السحابُ، فأفرغَ ماءه في حَرة، فإذا شَرْجة من تلك الشِّراج قد استوعبتْ ذلك الماء كُلَّه، فتتبَّع الماءَ، فإذا رجل قائم في حديقة يُحَوِّلُ الماء بِمِسْحَاته، فقال له: يا عبدَ الله، ما اسْمُك؟ قال: فلان – للاسم الذي سمع في السحابة – فقال له: يا عبد الله لم سألتني عن اسمي؟ قال: إني سمعتُ صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤهُ يقول: اسق حديقة فلان – لاسمك – فما تصنعُ فيها؟ قال: أمَّا إذ قُلْتَ هذا فإني أنظرُ إلى ما يخرج منها، فأتصدق بثلثه، وآكلُ أنا وعيالي ثُلُثاً، وأرَدُّ فيها ثُلُثَهُ**» وفي رواية «**وأجعل ثُلُثَه في المساكين والسائلين وابن السبيل**»

(الحرَّة): الأرض ذات الحجارة السُّود. (الشَرجة) واحدة الشِّراج: وهي مسايل الماء إلى السهل من الأرض.

عنوان خطبة اليوم: **أسباب سعة الرزق**

أيها الإخوة:

أمام الغلاء الذي نعيش يبحث المرء عن مورد رزق إضافي يساعده تغطية احتياجاته واحتياجات أسرته، ويجتهد في ضبط النفقات وترشيدها.

ومع التفكير والبحث عن مورد رزق إضافي أحببت أن أضع بين يديك ستة أسباب لسعة الرِّزق: حسن الخلق، وبذل الإحسان للآخرين، والاستغفار، وشكر نعمة الرِّزق، وإتقان العمل، وتقوى الله تعالى.

1- حُسنُ الخُلُق:

فحسن استقبال البائع للمشترين والمدير للعاملين والطبيب للمرضى يدعوهم إلى العود إليه مرة بعد أخرى ليزيد رزقُه ويتسع واردُه، تدخل إلى بائع جالس وراء مكتبه لا يقوم من خلفه وهو يقرأ في صحيفة، وربما لا يردُّ عليك السلام، وفي المقابل تدخل إلى محل آخر فترى صاحب المحل خرج لاستقبالك بكلام جميل ومنطق حسن، فيحملك حسن خلقه على الشراء منه.

الموظف بحُسنِ خُلُقه يطرق أبواب سعة الرِّزق، والعامل بحسن خُلُقه يطرق أبواب سعة الرِّزق، والتَّاجر بحسن خُلُقه يطرق أبواب سعة الرِّزق، والطَّبيب بحسن خُلُقه يطرق أبواب سعة الرِّزق، والمرأة التي تحسن خلقها مع زوجها توسع أرزاقها.

روى الإمام أحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**حُسْنُ الْخُلُقِ نَمَاءٌ، وَسُوءُ الْخُلُقِ شُؤْمٌ، وَالْبِرُّ زِيَادَةٌ فِي الْعُمُرِ، وَالصَّدقة تَمْنَعُ مِيتَةَ السَّوْءِ**».

قد يشتري أحدنا سلعة، ثم يبدو له أنها لا تناسبه، فإذا رجع إلى البائع ليردَّها تأفف وتذمر، فيقرر الزبون أن لا يعود إليه طيلة عمره، على حين أن بائعاً آخر يردها بصدر رحب، الأمر الذي يحمل الزبون على التعامل معه دائماً.

وقد بدأ عالم الاقتصاد اليوم يقنّن الأخلاق ويجعلها معياراً من معايير الجودة في المؤسسات الاقتصادية والأسواق التِّجارية، وأصبحت الشَّركات تُقيَّم بالأخلاق مع تقييمها بالأساس المالي.

في دراسة قام بها باحث أمريكي نشرها "الميثاق الإسلامي لقيم رجال الأعمال" عن طريق الموازنة بين شركات تلتزم الأخلاق الحسنة والمسؤولية الاجتماعية، وبين شركات لا تهتم بذلك، تبين له أن

متوسط نمو الرِّبح عند الشَّركات الأولى حوالي 11% سنوياً، بينما نمو الرِّبح عند الثَّانية حوالي 6% سنوياً، وخلص البحث إلى أنَّ الأخلاق الحسنة تؤدي إلى أعمال تجارية جيدة وإلى أرباح زائدة.

لهذا صارت مادة الأخلاق تدرَّس في الجامعات؛ ففي كلية الطب تدرَّس مادة اسمها (أخلاقيات الطب) وفي كلّيات المعلوماتية والاقتصاد تدرَّس كتب (الأخلاق الاقتصادية)؛ لأن الخُلق الحسن يزيد الأرباح.

2- بذل الإحسان للآخرين:

الوصف الذي تُعامِل به الخَلْقَ يعامِلك به الحقُّ؛ إن عاملتَهم بالإحسان أحسَنَ الله إليك، وإن عاملتَهم بالإساءة عامَلك الله تعالى بما تستحق.

الصدقة التي تحسن بها إلى الخلق تقرباً للخالق تُخْلَف عليك ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 261]

والنفقة التي تنفقها على أهلك تُعَوَّض عليك ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: 39].

وأوَّل من ينبغي أن تُحسِن إليهم والداك، وهذا باب عريضٌ من أبواب سعة الرِّزق، وإنّك لن ترى موسَّعاً عليه في رزقه إلا وهو بارٌّ، ولن ترى عاقّاً إلا وهو مخذول.

أخرج البخاري ومسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»، وفي رواية أحمد: «فَلْيَبَرَّ وَالِدَيْهِ، وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ».

ثمَّ بعد والديك تُحسِن إلى عيالك -زوجتك وأولادك-، ثمَّ بعد عيالك تُحسِن إلى أرحامك، ثمُّ جوارك ثم سائر الخلق.

هناك سؤال يوضَع في استمارات التوظيف اليوم، وهو: هل سبق لك أن عملت أعمالاً تطوعية، والمراد أعمال خيرية لا ترجو منها ثواب البشر، ولكن تدربك على الإحسان إلى الآخرين.

ويكون الجواب أحد مرجحات القبول أو الاعتذار.

3- الاستغفار والتَّوبة:

لأن الإصرار على الذنوب يمنع الأرزاق والتمادي في الباطل يزرع الشقاق، وعودة العاصي إلى الله تائباً ورجعة المذنب إلى الله آيباً؛ تفتحان لنا باب رزق لا يسد، روى أبو داود عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم: «مَنْ لَزِمَ الاِسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجاً، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ».

قال سفيان الثَّوري: دخلتُ على جعفر الصَّادق وهو في مسجده، فقال: ما جاء بك يا سفيان؟ قلت: أطلب العلم، قال: (إن كان لله عليك نعمة فأحببت بقاءها ودوامها فأكثِر من الحمد والشُّكر عليها؛ لأنَّ الله تعالى يقول في كتابه: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ..﴾ [إبراهيم:7]، وإذا استبطأتَ الرِّزق فأكثر من الاستغفار؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّماء عَلَيْكُم مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾ [نوح:10-12]).

قال ابن العربي: (مفتاح الرِّزق السَّعي مع الاستغفار، ومفتاح المزيد الشُّكر).

4- شكر نعمة الرِّزق:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:7] ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: 114].

أكرم الله تعالى شاباً بعمل يبدأ يومياً الساعة الثامنة صباحاً حتى الرابعة عصراً، فإذا أراد هذا الشاب شكر نعمة الرزق فعليه الالتزام بالوقت المتفق عليه. وعدم التقصير بذلك.

فمن مظاهر شكر نعمة الرِّزق: حفظ نعمة العمل وعدم التفريط به بتقصير أو إساءة.

ومن مظاهر شكر نعمة الرِّزق المحافظة على قليل النِّعمة وكثيرها، فلا تُرمى بقايا طعام في الطرقات ولا تترك صنابير الماء مفتوحة من دون فائدة، «يا عائشة أكرمي مجاورة نعم الله، فإنها إذا فرت من قوم قلما تعود» [الطبراني في الأوسط].

ومن مظاهر شكر نعمة الرِّزق استخدام نعمة الرِّزق في الطَّاعات لا في المعاصي. فمن المعيب أن نأكل من رزق الله ثم نعصيه، أو أن نسكن أرضه ونبارزه فيها بالمخالفات.

5- إتقان العمل:

فالإتقان والإحسان والتَّجويد والإحكام: مفردات ترد في نصوص الشريعة تستوعب العبادات والمعاملات. روى مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الله كتب الإحسان على كل شيء»، وهي مادة إسلامية يَتقرب بها المسلم إلى الله تعالى، يقرع بها أسباب سعة الرزق.

هذا الإتقان هو ما يسمى نظام الجودة اليوم. فالفرق بين النجار المتقن وغير المتقن يظهر في دقائق الصنعة، فالمتقن يعتني بتفصيلات صنعته، وغير المتقن لا يهتم بالتفصيلات.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الله تعالى يحبُّ إذا عَمِل أحدُكم عملاً أن يتقنه» [الطبراني في الأوسط].

6- تقوى الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطَّلاق:2-3].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّماء وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: 96].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الرَّجل ليُحرَم الرِّزق بالذَّنب يصيبه» [الترمذي].

طَلب من صاحب مطبعة مالكُ إحدى المجلات أن يطبع مجلَّته الشَّهرية، وتشكل طباعتها رافداً شهرياً لأرباح المطبعة، طلب صاحب المطبعة أعداداً قديمة للمجلَّة ليطلع عليها، فتفاجَأ بمجلَّة تعرض صوراً فاضحةً وقصصاً ماجنة لا ترضي الله عزَّ وجلَّ ولا تخدم بلداً ولا ثقافةً ولا أخلاقاً...، ومع كون العرض المادي مغرياً إلا أن تقواه الله تعالى مَنَعَته من قبول العرض، فاعتذر من صاحب المجلة، وفوّت على نفسه مبلغاً مالياً وافراً، فأراد الله مكافأته في الدُّنيا قبل الآخرة – على ما أخبرني- ، فاتصلت به إحدى دور النشر وطلبت منه طباعة مائتي ألف نسخة من القرآن الكريم مقابل أجر مادي جزيل، فكان أن نال أجراً وأجرةً. لقد جعل الله تعالى التقوى من أسباب سعة الرزق، وجعل المعاصي سبب محقها.

عرَّف بعض العلماء التَّقوى فقالوا: (هي فعل المأمورات وترك المنهيَّات) وقالوا: (هي ترك الحرام وإتقان الفرائض وأداء النوافل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، وبذلك يدخل في التَّقوى: صلة الرَّحم وبرُّ الوالدين وأداء الزكاة ومساعدة الضعفاء والمحافظة على الصَّلاة والصِّيام والإحسان إلى الخلق ونصحهم... كلُّ ذلك أسباب تزيد في الأرزاق.

ويدخل في مخالفة التَّقوى: الاحتكار والظُّلم والغش والرِّبا والزِّنا ومنع الزَّكاة ونقص الكيل والميزان والكذب في البيع والشِّراء...، وكلُّها أسباب تمحق الرِّزق والبركة.

أيها الإخوة: هذه أسباب ستة لسَعَة الرزق: حُسنُ الخُلُق، وبذل الإحسان للآخرين، والاستغفار، وشكر نعمة الرِّزق، وإتقان العمل، وتقوى الله تعالى، ولكل منها أثر واضح في تخفيض الأسعار ورفع الغلاء. اللهم وسع علينا أرزاقنا الدينية والدنيوية، واجعل فيها بركة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واجعل مع البركة بركة، واجعل مع البركة بركتين، وأغننا بغناك في الدارين.

والحمد لله رب العالمين